﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾ [الأعراف: 112]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التّأكيدِ على إخضارِ المَهَرَةِ من السّحرة

بيّنَت الآيةُ الكريمةُ قصدَ الإرسالِ إلى المَدائنِ، وهو الإتيانُ بالسَّحرةِ البارعينَ؛ ولذلكَ عبّرَ في مُفتَتَحِ الآيةِ بفعلِ المُستقبَلِ ﴿يَأۡتُوكَ﴾.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

حَشْدُ السَّحرةِ المتمكّنين منَ السّحرِ، أُولَى خُطواتِ المُواجهةِ مع موسَى

ومُهمّةُ هؤلاءِ المتعقِّبينَ جمعُ كلِّ خبيرٍ مُتمكِّنٍ من فنونِ السّحرِ؛ ليغلِبوا موسى، ويَقضوا على سحرِهِ ويُبطِلوا دعوتَهُ؛ لاعتقادِهِم أنّ موسى ﷺ جاءَ بالسّحرِ، أو أنّهم يَعلَمون صدقَ آياتِهِ، ويُكابِرونَ.

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ السَّحرَةَ كانوا في ذلك الزّمانِ عندَهُم في غايَةِ الكَثرةِ، ويدُلُّ على أنّ في طَبعِ النّاسِ المُعارَضةَ، فمَهما أمكَنَت بَطَلَت دَعوى النُّبوَّةِ، وإذا تَعَذَّرَت صَحَّتِ الدَّعوى[1]، وتَهدي أيضًا إلى أنَّ حُجَجَ الباطلِ واهيةٌ، قِوامُها التّضليلُ، ومَلاكُها الافتراءُ، وغايتُها التّجهيلُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

إيثارُ الفعْلِ المجزومِ ﴿يَأۡتُوكَ﴾:

الإرسالُ مُتّصِلٌ بالإتيانِ بشدّةٍ ووثاقةٍ، اتّصالَ السّببِ بالمسَبّبِ

عبّرَ بالجزمِ ﴿يَأۡتُوكَ﴾ على جوابِ الأمرِ للدّلالةِ على شدَّةِ اتّصالِ السّببيّةِ بينَ الإرسالِ والإتيانِ، فالتّقديرُ: إنْ تُرسِلْ يَأتوكَ، وقد قيلَ: في مثلِهِ إنّه مَجزومٌ بلامِ الأمرِ مَحذوفةٍ، على أنّ الجملةَ بدلٌ من أرسَلَ بَدَلَ اشتِمالٍ؛ أي: أرسِلْهُم آمِرًا لهم فليأتوكَ بكلِّ ساحرٍ عَليمٍ، إذ فيه مَعنى القَوْلِ، وهذا الاستعمالُ كثيرٌ في كلامِ العَربِ مع فِعلِ القَولِ، نحوَ قولِهِ تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 31][2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/82.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/44 - 45.

دَلالةُ حرفِ (الباءِ)، في: ﴿بِكُلِّ﴾:

دَلالـةِ السِّـياقِ على اسْتِجلابِ كُـلِّ سـاحِـرٍ عـلـيـمٍ، ممّـا يقتضِي توسيعَ مجالِ البحثِ

و(الباءُ) في قولِهِ: ﴿بِكُلِّ﴾، يَحْتَمِلُ أن تكونَ بمعنى (مع)؛ أي: مُصاحِبينَ لكلِّ ساحرٍ عليمٍ، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ باءَ التّعديةِ[1]؛ أي: كلَّ ساحرٍ.

نُكتةُ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿بِكُلِّ﴾ الدّالِّ على العُمومِ:

المَقصودُ عُمومُ السَّحرةِ ممّن يُظْفَرُ بِهِم، أو بجمْعٍ عظيمٍ منهُم

(كلّ) اسمٌ مَوضوعٌ للعُمومِ، والشُّمولِ، ولاستغراقِ أفرادِ المُنكَّرِ، وهو مُستعمَلٌ في معنى الكثرةِ؛ أي: بجمعٍ عظيمٍ مِنَ السَّحرةِ، يُشْبِهُ أن يكونَ جميعَ ذَلكَ النّوعِ[2]. وقد يكونُ العُمومُ فيه عُمومًا عرفيًّا؛ أي: بكلِّ ساحرٍ تَعلمونَ خبرَهُ وتَظفَرونَ به[3]، وتؤكِّدُ اللّفظةُ أنَّ السَّحرةَ كانوا في ذلك الزّمانِ عندَهُم في غايةِ الكَثرةِ[4].

دَلالةُ لفْظِ ﴿بِكُلِّ﴾:

مُعجِزةُ كلِّ نبيٍّ من جِنسِ ما شاعَ في زمانِهِ

وفيه إشارةٌ إلى أنّه تعالى يَجعَلُ مُعجِزةَ كلِّ نبيٍّ مِن جنسِ ما كان غالبًا على أهلِ ذلكَ الزّمانِ، فلمّا كانَ السِّحرُ غالبًا على أهلِ زمانِ موسى عليه السلام، كانَت مُعجِزتُهُ شَبيهَةً في ظاهرِها بالسِّحرِ، وإنْ كانَت مُخالِفةً للسِّحرِ في الحقيقةِ، ولمّا كانَ الطِّبُّ غالبًا على أهلِ زمانِ عيسى عليه السلام كانَت مُعجِزتُهُ مِن جنسِ طبِّ قومِهِ وزمانِهِم، ولمّا كانَتِ الفصاحةُ غالبةً على أهلِ زمانِ نبيِّنا مُحمّدٍ ﷺ كانَت مُعجِزتُهُ مِن جنسِ الفصاحةِ[5].

سِرُّ المجيءِ بصِيغةِ اسْمِ الفاعلِ ﴿سَٰحِرٍ﴾ وصِفتِهِ:

ثـبـوتُ صِـفـةِ مَهارةِ السّحَرَةِ المُخْتَلَبِينَ في السِّحْرِ

كانَت مَشورةُ أصحابِ الرّأي في مَجلسِ فِرعونَ إحضارَ صنّاعِ السِّحرَ؛ أي: قدِّموا بينَ يدي فِرعونَ بالغَ العلمِ في السّحرِ؛ للدّلالةِ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/163.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/45.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/253.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/83.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/163.

على ثبوتِ صفةِ السِّحرِ لديهم، ودوامِها فيهم، وتمرُّسِهم بها؛ ليجتمعَ كلُّ أنواعِ السِّحرِ بهذا الجَمعِ والإحضارِ؛ لتبيُّنَ سِحرَ موسى، وإلّا كانَ ساحرٌ واحدٌ كافيًا، ولكنّ أرادوا بقولِهم: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ اجتماعَ جميعِ أنواعِ السِّحرِ عندَهُ[1]. و﴿عَلِيمٍ﴾؛ يعني: ماهرٍ بصناعةِ السّحرِ، وحُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿عَلِيمٍ﴾؛ لأنّهُ صارَ بمَنزلَةِ أفعالِ السَّجايا، والمَقامُ يدُلُّ على أنّ المُرادَ قوّةُ علمِ السِّحرِ لهُ[2].

تَوجِيهُ تنوُّعِ القراءةِ القُرآنيّةِ، في لفْظِ ﴿سَٰحِرٍ﴾:

(السَّحَّارُ) هو العَالِمُ بالصَّنعةِ على خِلافِ (السّاحرِ)

واختلفَ القَرَأةُ في قولِهِ: ﴿سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾، فقَرَأ الجمهورُ ﴿سَٰحِرٍ﴾؛ جريًا على مُناسبةِ ما تقدَّمَ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، ومقابلته بـ ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[3]، وحجّتُهم أيضًا قولُهُ: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الأعراف: 120]، و﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ [الشّعراء: 40]، فالسَّحَرَةُ جَمعُ ساحرٍ مِثلَ: كَتَبَةٍ، وكاتِبٍ، وفَجَرَةٍ، وفاجِرٍ، واحتَجّوا أيضًا بقولِهِ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: 116]، فاسمُ الفاعلِ مِن سَحَروا ساحِرٌ[4].

وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ (سَحّار)[5]، على المُبالغةِ في مَعرفةِ السِّحرِ؛ أي: كثيرِ السِّحرِ، واسعُ العلمِ بعملِهِ، والمعرفةِ بأنواعه، فيكونُ وصفُ ﴿عَلِيمٍ﴾ تأكيدًا لمعنى المُبالَغةِ؛ لكونِهِ مِن صيغِها، ليدُلَّ على تناهيهِ فيهِ، وحِذْقِهِ بهِ، فحَسُنَ لذلك أن يذكرَ بالاسمِ الدّالِّ على المُبالغةِ في السِّحرِ.[6] والعدولُ مِن "فاعلٍ" إلى "فَعّالٍ" لزيادةِ المُبالغةِ في الوصفِ لما رأوا مِن قلقِ فِرعونَ وخشيتِهِ[7]. ولمّا كانَ رسمُ الكلمةِ في المُصحَفِ الإمامِ واحدًا (سحر) بدونِ ألفٍ، احتملَتِ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/527.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/45.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/360.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/163.
(5) ابن الجزريّ، النّشر: 2/305.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/45.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/81.

القراءتين، ووجهُهُما: أنَّ فِرعونَ لمّا طَلَبَ كلَّ ساحرٍ في مَدائنِ البلادِ، خصَّ بالذّكرِ المَهرةَ المُتمرِّنينَ في السِّحرِ المُكثرينَ منهُ، أو أنّ بعضَ مَلئِهِ طَلَبَ هؤلاء فقط؛ لأنّهم أجدرُ بإتيانِ موسى بمثلِ ما جاءَ بهِ مِنَ الأمرِ العظيمِ، كما حكى اللّهُ تعالى عن فِرعونَ في سورةِ طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [طه: 57 - 58]، وطَلَبَ آخرونَ حَشرَ جميعِ السَّحرةِ الرّاسخينَ في علمِهِ؛ لعلَّهُ يوجدُ عندَ بعضِ المُقتصدين أو المُقلّينَ مِنَ السِّحرِ ما لا يوجَدُ عندَ المُكثرين منهُ، فبيَّنتِ القراءتان كلَّ ما قيلَ مع الإيجازِ البليغِ[1]. ثمّ إنّ السّاحرَ هو المُبتدئُ في صناعةِ السِّحرِ، فيتعلَّمُ ولا يُعلِّمُ، والسَّحّارُ هو الماهرُ الّذي يُتعلَّمُ منه السِّحرَ، وقيلَ: السّاحرُ مَن يكون تأثيرُ سحرِهِ وقتًا دونَ وقتٍ، والسَّحّارُ الّذي يدومُ سِحرُهُ ويَعمَلُ في كلِّ وقتٍ.[2].

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/55 - 54.

(2) الخازن، لباب التّأويل: 2/234.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»